انقلاب الأصدقاء

عبد الناصر والعشير عامر ومبارك وأبو غزالة

جمعتهم الدفعة وفرقتهم السلطة

الفصل الأول

عبد الناصر يفشل في خطف
عبد الحكيم عامر في كمين
بشارع صلاح سالم

obeikandl.com

obeikandl.com

في ٨ يونيو ١٩٦٧ أصدر مجلس الأمن قراراً بوقف إطلاق النار بين مصر وإسرائيل وإعلان هزيمة مصر العسكرية واحتلال القوات الإسرائيلية سيناء.

في القاهرة وبعد بدء تطبيق قرار وقف إطلاق النار عقد اجتماع ثلاثي ضم عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وشمس بدران واتفق الثلاثة على ضرورة ترك مناصبهم والإتيان بوجه جديد يتولى رئاسة البلاد ويستطيع التفاهم مع الغرب. وانتهي الاجتماع بالاتفاق على تعيين زكريا محي الدين رئيساً للبلاد لعدة اعتبارات يأتي في مقدمتها تاريخه النضالي الطويل ودوره قبل وبعد الثورة بالإضافة إلى أنه كان يشغل منصب وزير الداخلية ويستطيع بسهولة السيطرة على الجبهة الداخلية والتي كانت على وشك الانهيار.

وفي اليوم المحدد خرج عبد الناصر ليعلن للجماهير تنحيه عن الحكم وإسناد رئاسة الدولة لزكريا محي الدين، وهو القرار الذي قوبل برفض شديد من كافه فئات الشعب وخرجت الجماهير في الشوارع حاملة صور عبدالناصر ورافضة لترك الحكم ونسيت الهزيمة وكان كل شاغلها هو عودة عبد الناصر وهو المشهد الذي عجزت الدول الغربية عن تفسيره فكافة الأسباب والظروف كانت تقول أن الجماهير لابد أن تجبر عبد الناصر على الاستقالة والفتك به إلا أن كافة توقعات الغرب ضاعت تحت بكاء وصراخ الجماهير.

وتحت ضغوط الجماهير ورفض كل أعضاء مجلس قيادة الثورة لاستقالة عبد الناصر استجاب وتراجع.

ورفع شعار أن لا صوت يعلو على صوت المعركة وأن الحل يكمن في إعادة بناء القوات المسلحة فكان تعيين الفريق محمد فوزي قائد عام للقوات المسلحة.

وبمجرد إعلان تراجع عبد الناصر عن الاستقالة وتعيين الفريق فوزي بدأت رياح صراع وحرب تهب وتسري في الأبدان وتنذر بوقوع حرب أهلية وانقسام

داخل الجيش. فعندما تلقى عبد الحكيم نبأ عودة عبد الناصر للحكم وتعيين الفريق بفوزي قام بالاختفاء داخل فيلا اللواء عصام خليل ومعه الوزير عباس رضوان. في السياق ذاته عقد عشرة من كبار ضباط الجيش وأتباع عبد الحكيم اجتماعاً داخل فيلا المشير بالجيزة وتحصنوا بها وأعلنوا عصيانهم ورفضوا مغادرة الفيلا إلا بعد عودة المشير أسوة بعبد الناصر. وفي القاهرة تلقي عبد الناصر اتصالاً من الفريق فوزي حول تحرك عدد من كبار وصغار ضباط الجيش ناحية منزل عبد الناصر مطالبين بعودة عبد الحكيم كقائد عام للقوات المسلحة بالإضافة إلى تجمع ٦٠٠ ضابط وأربع فرق داخل مبنى القيادة العامة لإجبار عبد الناصر على عودة عبد الحكيم الذي عاد من مخبأه إلى فيلا الجيزة وبدأ في حشد رجال بالأسلحة والعتاد استعداداً للمواجهة مع عبد الناصر وهو الأمر الذي كان ينذر بوقوع حرب أهلية وانقسام داخل الجيش. وكانت النصيحة التي قالها الرئيس اليوغسلافي لعبد الناصر هي ضرورة اتخاذ إجراءات سريعة وحاسمة لأن البلاد مجروحة وتصاعد أي صراع داخلي إذا كان داخل القوات المسلحة سوف يتسع وينقلب إلى صراع أكبر. وكانت بشائر هذا الصراع قد خرجت، من داخل جدران كبار المسئولين ودخلت في صراع من نوع اللا عودة والذي يرتبط بقاء طرف بالقضاء على الطرف الأخر. وكانت أول إرهاصات هذا الصراع هو قيام عبد الحكيم بطبع استقالة سبق وأن قدمها يتحدث فيها عن الديمقراطية وديكتاتورية الحزب الواحد وسيطرة وانفراد عبد الناصر وحده بالحكم وأن تصفيات لجنة الإقطاع وإذلالها للمواطنين كانت كلها بسبب عبد الناصر وبجانب الاستقالة بدأ عبد الحكيم في تحويل منزله إلى قلعة حربية بها كافة أنواع الأسلحة والذخائر وتضم ضباطاً وجنوداً من كافه الأسلحة ومن كل ذلك أن يعجل بضرورة تنفيذ نصيحة تيتو.

وفي يوم ٢٥ أغسطس كان عبد الناصر قد انتهى من إعداد خطة التخلص من المشير وتحديد إقامته والتفرغ ناحية إعادة بناء القوات.

فقد أرسل عبد الناصر إلى عبد الحكيم يدعوه للعشاء معه واستقبل عبد الحكيم الدعوة بتفاؤل شديد وابدي سعادته واعتقد أن عبد الناصر يدعوه للاتفاق معه على السفر إلى السودان لحضور اجتماع القمة العربية الذي سيعقد بالخرطوم يوم ٢٨ أغسطس.

في الوقت ذاته كان عبد الناصر قد وضع خطة تقوم على أنه بمجرد وصول سيارة المشير عامر ونزوله منها ودخوله إلى الصالون تنزع منها الأسلحة في هدوء ويلقى القبض على من فيها من حراس ثم تستبدل بسيارة أخرى تنقله إلى منزله لتحديد إقامته.

في السياق ذاته يقوم الفريق محمد فوزي ورئيس الأركان عبد المنعم رياض بإخلاء بيت المشير من الأسلحة والضباط والجنود المرابطين فيه بحيث يجد البيت عند عودته خالياً إلا من أسرته والضباط المكلفين بحراسته.

وبمجرد وصول سيارة المشير في التاسعة مساءً. بدأ الفريق فوزي وعبد المنعم رياض تنفيذ الخطة وعندما دخل المشير إلى الصالون بدأت محاكمته ولكنها محاكمة من نوع خاص، محكمة من الأصدقاء القدامي ورفقاء الكفاح قبل الثورة حضرها زكريا محي الدين وحسين الشافعي وأنور السادات. ومن التاسعة حتى الثانية دارت المناقشات وواجه عبد الناصر عبد الحكيم بكل شيء حتى دقت الساعة تمام الثانية بعد منتصف الليل كان الفريق فوزي قد أخلى منزل المشير وطهره من كافة الأسلحة والجنود وأعطى إشارة التمام بإنهاء المهمة.

وقتها أعلن عبد الناصر لعبد الحكيم نبأ تحديد إقامته وتعيين حراسة عليه لتطوي بذلك صفحة صداقة طويلة دفعت بسببها البلاد الكثير.

وفي الطريق من كوبري القبة إلى الجيزة بدأ عبد الحكيم يستدعي شريط الذكريات القديمة وبدأ صداقته لعبد الناصر وتحول هذا الصداقة إلى صراع حاول

فيه عبدالحكيم السيطرة على كل شيء من خلال سيطرة الجيش وتوزيع المناصب الحساسة والمؤثرة على المقربين إليه وتسخير كل المؤسسات لخدمة هدفه وتحويل عبد الناصر إلى رجل يملك ولا يحكم، شريط طويل كشف أن بريق الكرسي تتراجع أمامه الصداقة وما يطفو فوق الوجه لا يعبر عن مكنون القلب.

شريط بدأت تفاصيله الحقيقية يوم ٩ سبتمبر ١٩٥٢ عندما ذهب عبد الناصر وجمال سالم إلى مكتب رئيس الوزراء في ذلك الوقت على ماهر مطالبينه أن يترك رئاسة الوزراء بعد أن عجزت وزارته عن تحقيق الأهداف التي قامت من أجلها الثورة ورفض الأحزاب السياسية قبول قانون الإصلاح الزراعي وتطهير الحياة النيابية. وأن تنفيذ المبادئ التي قامت من أجلها الثورة تقتضي أن يتولى الضباط الأحرار الحكم.

وكانت مشكلة تقارب السن بين الضباط الأحرار تهدد بإمكانية حدوث صراع بينها وبين السلطة. وكان الحل هو اختيار اللواء محمد نجيب رئيساً للوزراء لوضع حد لإمكانية انفجار صراع على السلطة. إلا أن هذا الاختيار سرعان ما تحول إلى مشكلة تواجه الضباط الأحرار وأحدثت انقساماً بين صفوفهم بعد مطالبة اللواء محمد نجيب لهم بالعودة إلى الثكنات العسكرية مرة أخرى وعودة الأحزاب القديمة وهي المطالب التي كانت تتعارض مع تنفيذ المبادئ التي قامت من أجلها الثورة.

فكان لابد من التصدي للواء نجيب ومؤيديه خاصة وأن سلاح المدرعات ورئيس مخابراته في ذلك الوقت الرائد محي الدين قد اعتصموا داخل مبني قياده المدرعات في عام ١٩٥٤ وطالبوا بعودة الضباط الأحرار إلى ثكناتهم العسكرية ورفضوا مطالب بعبد الناصر بفض الاعتصام. واستطاع جناح عبد الناصر وعبد الحكيم وجمال سالم فض اعتصام ضباط المدرعات وتحديد إقامة محمد نجيب ونفي خالد محي الدين إلى سويسرا كمنفى اختياري. واستقرت الأمور لعبد الناصر وعبد الحكيم والذي انطلق منذ هذا التاريخ في السيطرة على الجيش بتركيز السلطة

وتوزيعها على أصدقائه والثقات من الضباط المقربين إليه وانشغل عبد الناصر في بناء الدولة.

عن هذه الفترة يقول صلاح نصر أن عبد الناصر كان يعرف أن عبد الحكيم يحاول السيطرة على الجيش وفصل عبد الناصر عنه. وكان رد عبد الناصر على أطماع وأحلام عامر هي تكليف سكرتيره الخاص ومدير مكتبه سامي شرف بتشكيل خلايا داخل الجيش يضمن ولاءها واسند تأسيس هذه الخلايا إلى بمحمد فوزي الذي كان يجند الطلاب أثناء دراستهم بالكلية الحربية بالإضافة إلى تكليف واعظ ديني وهو الشيخ دنيا إليه مهمة توجيه هذه الخلايا. وأن عامر اكتشف هذه الخلايا في عام ١٩٥٦ وهو العام الذي أثبت عبد الحكيم عامر فشله كقائد عسكري أثناء العدوان الثلاثي وطالب غالبية مجلس قياده الثورة عبد الناصر باستبعاد عامر وإسناد المهمة إلى شخص آخر.

برلنتي عبد الحميد تقول في رواية أخري أن صور الصراع بين عبد الحكيم وعبدالناصر تمثلت في تعمد عبد الناصر تشويه صورته أمام الرأي العام وأن قرار تعيينه مشرفاً على لجنة تصفية الإقطاع كان بقصد تشويه صورته أمام الرأي العام وزيادة كراهية الناس له إلا أن عامر حاول تصحيح الأخطاء التي وقعت فيها لجنة تصفية الإقطاع ورفع الحد الأقصى للملكية.

وقد تأكد عبد الناصر بمرور الوقت أن هدف السيطرة على الجيش وتسكين المقربين إليه والمدينين له بالولاء والطاعة هو الشغل الشاغل لعبد الحكيم وأكد ذلك ما حدث بعد الانفصال الوحدوي بين مصر وسوريا.

فعندما قامت الوحدة بين البلدين في عام ١٩٥٨ أراد عبد الناصر أن يؤكد لأعضاء مجلس قياده الثورة أن عبد الحكيم عامر جدير بتحمل المسئولية لذا أسند الإشراف والمسؤولية على القطر السوري إلى عبد الحكيم والذي أثبت أثناء حرب

١٩٥٦ فشله كقائد عسكري وكانت الرغبة داخل مجلس قياده الثورة هي ضرورة تغييره إلا أن عبد الناصر تحدى إرادة المجلس وأبقي عبد الحكيم قائداً عاماً للجيش.

بل وأسند إليه الإشراف على القطر السوري، ولم تمض ثلاث أعوام وتحديداً في ٦٢ سبتمبر ١٩٦١ حتى حدث الانفصال وسيطر الانفصاليون على الحكم في سوريا وقبض على عبد الحكيم عامر وتعرض إلى إهانة بالغة خاصة وأن قائد الانقلاب كان مدير مكتب المشير في سوريا وتم ترحيله من الأرض السورية ببيجامة النوم.

الأمر الذي ترك أثراً نفسياً بالغ السوء على عبد الحكيم وفي أول لقاء بينه وبين عبد الناصر بعد عودته قال لعبد الناصر أنه لا يستطيع أن يستمر كقائد عام للقوات المسلحة بعد الإهانات التي وجهت إليه من جيش سوريا وكرامته كقائد عام لا تسمح له بالاستمرار في العمل.

ورحب عبد الناصر بقرار عامر والذي جاء متوافقاً مع رغبة العديد من أعضاء مجلس قيادة الثورة، وخرج عبد الناصر ليعلن في خطابه الشهير بعد الانفصال أن هذا هو الطريق الذي اختارته سوريا ولا تدخل في إرادتها. وكان للخطاب صدى طيب لدي كل الدول العربية. وبدأ عبد الناصر تجهيز البديل لتولي قيادة الجيش ولم يمض أسبوع. إلا فوجئ عبد الناصر بعبد الحكيم يطلب منه سد حاجات الجيش والنقص في معدات بعض الوحدات وتصرف كما لو كان اتفاقه على ترك الجيش لم يحدث وقع تصرف عبد الحكيم كالصاعقة على عبد الناصر ولم يدر ماذا يفعل.

السادات في كتابه البحث عن الذات كان له تفسير لعودة عبد الحكيم وأن قرار العودة جاء نتيجة مناقشات طويلة بين عبد الحكيم وعدد من المقربين إليه أمثال صلاح نصر وشمس بدران وكانت فكرتهم أنه مادام عبد الناصر يحكم لابد وأن يظل عبد الحكيم قائداً عاماً للقوات وأن بقاء عبد الحكيم في الجيش هو البداية

الحقيقية للسيطرة على الحكم وأن عبد الحكيم شريك لعبد الناصر في كل شيء ودعا عبد الناصر مجلس قياده الثورة للاجتماع لإبلاغهم تراجع عبد الحكيم عن قراره عن ترك الجيش وانتهت المناقشات داخل المجلس أن عبد الناصر بحكم منصبه يستطيع أن يعزل عامر.

ودعا عبد الناصر عامر للاجتماع وأبلغه بقرار مجلس قيادة الثورة. وكان رد فعل عامر الاختفاء داخل استراحته بمرسي مطروح ومن هناك بدأ تحريك أعوانه داخل الجيش وتوزيع استقالته التي تهاجم الثورة وعبد الناصر وتطالبه بعودة الديمقراطية وعدم سيطرة الحزب الواحد وتقول إن اعتقالات الإخوان المسلمين سببها سيطرة الشيوعيين.

وكان قبول مثل هذه الاستقالة يعني تحويل عبد الحكيم إلى بطل قومي وإظهار عبد الناصر بالديكتاتور المعادي لدينه ووطنه.

ولخطورة الأمر، استدعى عبد الناصر عبد الحكيم وجلسا جلسة مطولة انتهت إلى عودة عامر إلى الجيش كنائب للقائد العام إلا أنه رفض وأصر على العودة كقائد عام للقوات المسلحة مرة أخرى وعادت إليه كافة الصلاحيات وبدلاً من أن يكتفي عامر بالسيطرة على الجيش وتوزيع رجاله في المناصب والمواقع المؤثرة انطلق للسيطرة على الدولة كلها وبدأ يثبت أقدامه في جميع المواقع وأصبح تعيين كبار الضباط في المؤسسات المدنية أمراً طبيعياً وكان تعيين رؤساء مجالس الإدارات والمؤسسات الحكومية من الجيش أمراً مألوفاً وبدأ الأمر يتضح . كما كان هناك فريق عمل يخطط لعامر ويمهد لإحكام قبضته على كل شيء وأصبح الجيش عصب الدولة بكل مؤسساته تابعاً لعامر.

بالإضافة إلى المخابرات العامة والحربية ووزارة الدفاع والمؤسسات المدنية كلها في يد عامر ورجاله.

وبدأ صراع عبد الحكيم مع عبد الناصر يأخذ شكلاً جديداً يصب في اتجاه عزل عبد الناصر عن الجيش تماماً وتحويل قيادة الجيش بكل تشكيلاتها إلى عزبة يملكها عبد الحكيم وحده.

وقد تأكد منذ منتصف شهر مايو وهو الشهر الذي اتخذ فيه عبد الناصر قراره بغلق مضيق العقبة وسحب قوات الطوارئ الدولية وقد تأكدت كل القوى الدولية أن رياح الحرب على وشك أن تهب وبدأت إرهاصات الحرب تلوح في الآفاق وكانت لدي عبدالناصر قناعة بأن إسرائيل سوف تقدم على هذه الخطوة ولذلك قام بزيارة مفاجئة لمقر القيادة العامة للقوات المسلحة حيث المشير ورجاله مجتمعون ودخل على الفور معهم في حوار استعداد القوات لمواجهة احتمال الحرب في بداية أول شهر يونيو وكانت سبب الزيارة تقرير من المخابرات العامة المصرية حول تحديد موعد الهجوم الإسرائيلي وأن هذا الموعد قد يكون ٣ أو ٤ أو ٥ يونيو وكان هناك تقرير آخر حصل عليه عبد الناصر من الروس يؤكد أن موعد الهجوم تحدد يوم ٥ يونيو وكانت الزيارة مفاجأة لعبد الحكيم لدرجه أنه قال له مش تقول أنك جاي علشان نستعد.

وبدأ عبد الناصر يشرح التقرير الروسي ومدى الاستعدادات الإسرائيلية ووقف وأخذ يشرح على الخريطة التحصينات والمواقع الإسرائيلية وطلب أن يجري تغييراً في مواقع بعض الفرق وركز عبد الناصر على ضرورة الدفاع عن غزة.

ثم سأل اللواء صدقي محمود عن موعد وصول القوات العراقية إلى الجبهة الأردنية.

أثناء المناقشة بدا عامر وكأنه لا يفهم شيئاً وبدأ رجاله يتهكمون ناسين أن عبد الناصر رئيس الجمهورية حتى تصاعد الخلاف بعد رفض عبد الحكيم الموافقة على اقتراحاته وترك غرفة الاجتماع ثم جرى وراءه شمس بدران وغادر عبد الناصر مقر القيادة العامة ولم يودعه على الباب ثم ارتكب عبد الحكيم أكبر حماقة في حياته

ففي تمام الساعة الثامنة والنصف يوم ٥ يونيو ١٩٦٧ جمع عبد الحكيم قادة الجيش في طائرة من مطار ألماظة واتجه ناحية سيناء بحجة التفتيش على الوحدات العسكرية للتأكد من استعدادتها. وبعد جمع كل القادة العسكريين في طائرة واحدة خطأ لا يقع فيه طالب بالكلية الحربية بالإضافة إلى أن قادة الجيش وعلى رأسهم عبد الحكيم عامر كانوا يعلمون أن هناك احتمالاً أن تقوم إسرائيل بتوجيه ضربة جوية يتبعها هجوم بالمدرعات إلى مصر وفي السياق ذاته أرسلت الوحدات العسكرية بسيناء يوم ٥ يونيو الساعة الخامسة صباحاً إشارة حول تحرك المدرعات الإسرائيلية واتخاذها وضع الاستعداد للهجوم.

ولا تعرف أين ذهبت هذه الإشارة، ورغم كل هذه المعلومات جمع عبد الحكيم القادة فوق سيناء ولم تمض دقائق على ظهور طائرة المشير فوق سيناء إلا وانطلقت الطائرات الإسرائيلية في ضرب المطارات المصرية والتحصينات العسكرية.

ووقفت المدفعية المصرية المضادة للطائرات عاجزة على إطلاق طلقة واحدة بسبب وجود المشير والقادة جميعاً في الجو حتى تمكنت القوات الجوية الإسرائيلية من تدمير كافة المطارات ومخازن الذخيرة.

وأصبح الجنود صيداً سهلاً للطائرات المغيرة والدبابات المهاجمة وضاعت سيناء كلها. وبعد انتهاء الضربة الجوية الإسرائيلية هبطت بالسلامة طائرة المشير وتوجه إلى مقر القيادة حتى كانت الهزيمة.

وفي يوم ٨ يونيو صدر قرار مجلس الأمن بوقف إطلاق النار وفي القاهرة اتخذ جمال عبد الناصر قراراً بالتنحي عن الحكم ورفضت الجماهير قراره وخرجت المظاهرات في كل شوارع مصر مطالبين عبد الناصر بالعودة. واستجاب عبد الناصر لطلب الجماهير. وقرر في ١١ يونيو إعادة بناء القوات المسلحة من جديد واستبعاد عبد الحكيم عامر وتعيين الفريق فوزي بدلاً منه.

ورد عبدالحكيم عامر ورجاله على قرار تعيين فوزي واستبعاد عامر بالمواجهة المسلحة، وكانت أولي خطواتهم تحريض عدد كبير من الضباط على العصيان وتعليق عودتهم إلى موقفهم على عودة المشير إلى قيادة القوات مرة أخري بالإضافة إلى تحويل منزل عبد الحكيم إلى قلعة عسكرية. في هذه اللحظة تحديداً وضع عبد الناصر حداً لسيطرة عامر على القوات المسلحة وكانت أولي هذه الخطوات هي تكليف الفريق فوزي بالتصدي لتمرد القوات التي أعلنت عصيانها وأطلق له الصلاحيات في القبض عليهم وانتهاء خدمة الباقين منهم. في الوقت ذاته كان عبد الناصر قد انتهى من وضع خطة للتخلص من المشير عامر ورجاله انتهت بتحديد إقامته بمنزله والقبض على كبار رجاله وانتهى الصراع بين عبد الناصر وعبد الحكيم بانتحار عبد الحكيم وعدم تصديقه للنهاية وإحالة الباقية إلى محكمة الثورة.

وبدأت حملة التطهير داخل صفوف الجيش وإعلان حقيقة عبد الحكيم ورجاله واستخدمت القيادة في حملة التطهير ضد عبد الحكيم ورقه الجنس، ورقة ممزوجة برائحة الفنانات، ورقة تكشف مدى استهتار رجل عسكري تولى أعلى المناصب العسكرية ولم يحافظ على شرف عسكريته، ورقة تكشف ضياع دولة بسبب تهافت وتساقط كبار العسكريين أمام شهواتهم ورغباتهم وتسخير إمكانيات الدولة لخدمة نزواتهم.

وحول انحرفات المشير وإظهار حقيقته يقول المهندس حلمي السعيد التي تولي التحقيقيات في قضية انحراف المخابرات:

كانت أكثر الموضوعات إثارة وخاضت الصحف في تفصيلاتها دون الاقتراب من الحقيقة هي قصة الفنانة التي كانت على علاقة مع أحد قيادات المخابرات العامة وكان لها أصدقاء أجانب، ولقد وقعت إقراراً عام ١٩٦٠ لتكون مندوبة مخابرات وفي عام ١٩٦١ تم تقديمها إلى السفارات لعمل صداقات مع رجال السلك الدبلوماسي وفي عام ١٩٦٢ نجح القيادي المخابراتي بترتيب مقابلة لها مع القائد

السياسي في إحدى الفيلات الآمنة التابعة للمخابرات في حجرة مظلمة ولما قامت القيادة السياسية بإشعال سيجارة فعرفته السيدة بنا وكانت دائماً تقول أنها عرفته بسيجارة.

وفي موضع آخر من شهادتها يقول المهندس حلمي السعيد حول ضعف المشير أمام الفنانة بنا: كان القائد السياسي يحبها جداً وتسيطر هي عليه والدليل الواضح على ذلك كان ينقل إليها كل ما يقال عن تصرفاتها رغم ما يمثل ذلك من مخاطر على المبلغين وتسليم التسجيل الذي قام به النقيب ب...للسيدة بنا بأوامر من القائد السياسي والتضحية بالنقيب رغم إخلاصه له. ويضيف: كما سمح لها بعمل تسجيل له جاء به.. انت تسبيني وأنت أغلي من أولادي أنا ما شفتش أولادي من ثلاثة أو أربعة أيام لكن ما أقدرش ما شفكيش ثلاثة أو أربعة أيام.. بشرفي إن أنتي أغلى شيء أنا ما أقدرش أستغني عنك..

ده حكم إعدام وأنت قاعدة تهزري تحكمي على بالإعدام بهذه البساطة وقالت والله العظيم قلبه وقف تقريباً وخذ كورامين وبقي يزعق..

ويختم المهندس حلمي السعيد شهادته بقوله لقد كانت قيادات المخابرات تخاف منها وتعمل لها ألف حساب.

والسيدة برلنتي أو الفنانة كما يسميها المهندس حلمي السعيد والتي كان يبكي المشير بين يديها ويطلب منها الصفح والغفران. هي نفيسة حمدهلى حواشا واسم شهرتها برلنتي عبد الحميد اشهر من قدمت ادوار الأغراء والإثارة في تاريخ السينما وكان جسدها وأنوثتها الطاغية هو جواز مرورها لشاشات وكان أيضاً سبب سيطرتها على عقل وقلب المشير.

وكانت صادقة مع نفسها جداً عندما أكدت أن الإغراء هو سبب شهرتها وانتقالها من حي البغالة إلى أرقي أحياء القاهرة.

فأثناء دراستها بالمعهد العالي للفنون المسرحية وقعت عليها عين الفنان ذكي طليمات عميد المعهد وما كادت عيناه تقع عليها حتى بدأ يتفحصها ثم قال لها ماذا تفعلين هنا في قسم النقد إحنا محتاجين إليك في قسم التمثيل وفيه تدرس معظم العلوم بما فيها النقد.

وكانت قد اختارت قسم النقد بناء على نصيحة أستاذها والرجل الأوحد في حياتها مصطفي هيكل والذي طور أفكارها وتصوراتها عن الحياة الأمر الذي جعلها تعتنق الأفكار الماركسية وطور من لغة خطابها وأصبحت متحدثة لبقة تستطيع أن تتحدث عن العدالة الاجتماعية والمبادئ الاشتراكية وكيفية تثوير الشعوب. وأصبحت تحفظ أسماء كبار الأدباء والمفكرين الروس والتي كانت أفكارهم قد بدأت تغزو مصر منذ أوائل العشرينيات.

وإذا كان مصطفي هيكل قد حولها إلى إنسانة مثقفة تعرف الكثير وتتحدث بلغة سهلة وسلسة تستطيع أن تصل معلوماتها بسهولة فإن ذكي طليمات واعتذار الفنانة ملك الجمل عن أداء أحد الأدوار جواز مرورها إلى عالم النجومية.

فأثناء دراستها بالمعهد كان الطلاب يعدون مشروعات التخرج وهي عبارة عن مسرحية يقوم بالتمثيل فيها مجموعة من طلبة المعهد على مسرح قاعة إيوارت الجامعة الأمريكية وقبل الامتحان فوجئ الأستاذ ذكي طليمات بغياب بطلة المسرحية الطالبة ملك الجمل وكان المخرج الطالب عبد الغني قمر وجاء الأستاذ ذكي طليمات وطلب منها القيام بتمثيل الدور أمام عبد الغني قمر إنقاذاً للموقف.

وكان الدور دور فتاة إغراء تظهر أثناء العرض في حجرة نوم بملابس الإغراء التي تثير الغرائز وبمجرد رفع الستارة وظهورها بملابس الإغراء داخل حجرة النوم حدث هرج ومرج وتصفير وأخذ الطلاب يطلقون التعليقات اللاذعة حتى اضطر المخرج لإنزال الستارة.

ومن وقتها إنهالت عليها العروض وبدأ نجمها يعلو بسرعة الصاروخ وجسدت

على شاشة السينما العديد من أدوار الإغراء والإثارة. ومع صعود نجمها في عالم الفن صعدت مكانتها في المجتمع وأصبحت ضيفة شرف الكثير من الحفلات العامة وكونت دائرة من العلاقات مع مشاهير ونجوم المجتمع من وزراء وصحفيين ورجال السلك الدبلوماسي وأعضاء السفارات الأجنبية بالقاهرة.

وكانت علاقاتها بأعضاء السفارات المعتمدين بالقاهرة السبب في تجنيدها للعمل بالمخابرات العامة. من وجهة نظرها، فقد دعيت إلى حفلة مستر باتل سفير الهند بالقاهرة تكريماً لقنصل الولايات المتحدة بالقاهرة وأثناء الحفل اقترب منها شخص وهمس في أذنها قائلاً أنا فلان الفلاني مخابرات وتستكمل برلنتي عبد الحميد في كتابها المشير وأنا باقي قصة تجنيدها:

تعمدت الحديث بالإنجليزية حرصاً على صداقتي بالرجال العاملين بالسلك الدبلوماسي وحرصاً على ثقتهم في، هذه الثقة التي دفعتهم إلى أن يفتحوا لي أبواب بيوتهم لأخالط زوجاتهم وأبنائهم.. مسلك كهذا كفيل بإدخال الشك إلى قلوبهم وابتعادهم عني، خصوصاً أن أغلبهم يلم ببعض اللغة العربية. ثم مال الشاب الأسمر مرة أخرى على أذني ثم همس الريس وصل.

نظرت حولي غير مصدقة، فأنا لم أسمع لفظاً أو جلبة أو شيء مما يصاحب مقدم الرؤساء، وأشار لي الرجل بيده، فنظرت إلى حيث أشار، فرأيت رجلا متوسط الطول خجولاً، يقف بمفرده تحت إحدى الأشجار، قلت لرجل المخابرات: هل البروتوكول يقضي بأن الرجل هو الذي يأتي للسيدة إذا كان يريد الحديث معها، وليس من اللائق أن يدعوها إليه، ثم ما شأني أنا بكل هذا؟

وعلى كل إذا كان يريد الحديث معي فليتفضل. كان الصمت والوجوم قد عاد إلى الحفل بعودة رجل المخابرات، وحين قلت له هذا الكلام السابق، لاحظت ظل ابتسامات ترفرف على شفاء الحاضرين.

انتهت الحفلة، وعدت إلى البيت، ولم أكد أغلق الباب ورائي حتي سمعت جرس التليفون يرن.. رفعت التليفون فجاءني من الطرف الآخر صوت رقيق مهذب يقول: أنا صلاح نصر مدير المخابرات الحربية وصمت، وواصل حديثه الهادئ قائلاً: اسمعي يا مدام برلتني.. نحن نعرف أنك وطنية، فرددت عليه: طبعاً. قال: إذا كان هناك خطر يهدد الوطن، وطلب منك المساهمة في حماية وطنك من هذا الخطر فهل تمانعين؟

قلت له: إذا رأيت خطراً فلن أنتظر حتى يطلب مني ذلك، بل سأعمل من تلقاء نفسي. أجاب: عظيم.. ونحن لا نريد منك أكثر من ذلك فأنت يا مدام برلنتي صديقة لعدد كبير من الأجانب، وكل ما نريده منك أن تؤدي خدمة للوطن وحماية للثورة، فأنت بالنسبة لنا وجه نادر لمعرفتك العميقة برجال السلك الدبلوماسي، وكل ما نطلبه منك أن تكتبي تقريراً عن أي شيء تسمعينه.

قلت له على الفور: اسمح لي.. أنا بنت بلد ولا أخون من وضع ثقته في، وليس من عادتي أن انقل كلاما قيل أمامي، هؤلاء الناس أنا دخلت بيوتهم وأكلت معهم عيشًا وملحا ثم أنني فنانة ولا دخل لي بالسياسة، الفن هو كل حياتي قال الرجل بأدب ورقة:. إذن لا نطلب منك كتابة تقارير، لكن نطمع في أنك إذا رأيت شيئاً فيه خطر على أمن مصر أو الثورة أن تخبرينا عنه؟

قلت: طبعاً

قال صلاح نصر منهيا حديثه: هل لديك مانع إذا اتصلت بك مرة أخرى؟

قلت: أبداً يشرفني ذلك.

وانتهت المكالمة، ووضعت السماعة في دهشة من أن يكون هذا الرجل الخجول الرقيق، رجل مخابرات، فأنا لم أكن قد رأيت من قبل رجلا من المخابرات.

ومرت أيام كنت قد نسيت خلالها هذه الواقعة، وفي ذات يوم زارتني في بيتي

كاتبة دينية معروفة وبعد أن جلست قالت:

ـ هناك شخص يريد أن يأتي لزيارتك.. فهل لديك مانع؟

سألتها: ومن هو؟

ـ إنه شخصية هامة، أحد المسئولين، فما رأيك؟

ـ ولماذا يريد أن يزورني؟

ـ لا أعرف، هو بنفسه سوف يخبرك إذا وافقت على الزيارة وبعد محاولات بيني وبينها قلت لها في النهاية: لا مانع فليتفضل.

ـ قالت قبل انصرافها: هل لديك مانع أن آتي معه؟

قلت أبدا أهلاً وسهلاً.

المهندس حلمي السعيد يكمل قصة تجنيدها ليؤكد أنها وقعت إقرارا في عام ١٩٦٠ وفي عام ١٩٦١ تم تقديمها إلى السفارات لعمل صداقات مع رجال السلك الدبلوماسي وكان جميع زملائها في الوسط الفني يعلمون علاقتها مع أحد قيادات المخابرات العامة والذي نجح في تقديمها إلى القادة السياسيين عام ١٩٦٢ وذلك بترتيب مقابلة لها بالسيدة الفنانة والشخصية القيادية في إحدى الفيلات الآمنة التابعة للمخابرات العامة في حجرة مظلمة.

الأستاذ عبد الله إمام في كتابه عامر وبرلنتي يكشف أسباب تلك المقابلة فيقول:

إن المشير تعرف على برلنتي عن طريق صلاح نصر عقب الانفصال بين مصر وسوريا وكان المشير قد عاد مطروداً وحالته النفسية محطمة وفي محاولة من رجاله لرفع معنوياته أقامت إدارة الشئون المعنوية للقوات المسلحة حفل شاي حضره حشد من ضباط القوات المسلحة وقد حياه جميع الضباط أثناء حفل الشاي مما رفع من روحه المعنوية وبعد الحفل الكبير أقيمت احتفالية مصغرة خاصة جداً حضرها صلاح نصر وعباس رضوان وعصام خليل وجاءت برلنتي في هذا الحفل الصغير

لتضفي بهجة خاصة على الجلسة بثقافتها السياسية والفنية وأثناء اللقاء انبهر المشير بثقافتها بعد أن حللت أسباب الانفصال عن التناقضات الأساسية بين الأعداء والتناقضات الثانوية بين الأصدقاء وسرعان ما تذوب التناقضات الثانوية التي وقعت بين مصر وسوريا ولقيت هذه الكلمات استحساناً حتى همس في أذن أحد معاونيه عن اسمها ثم تفرس المشير جمالها عندما أخرجت سيجارة فتقدم لإشعالها لها.

ولم تمض أيام بعد الاجتماع حتى زارها صلاح نصر وطلب منها أن تأتي معه لمقابلة عبدالحكيم عامر وباستقبال عبد الحكيم لبرلنتي وإعلانها عروسا له باءت كل محاولات صلاح نصر بالفشل وبدلاً من أن يباعد بين المشير وبرلنتي. أعطي لها صك البراءة وفشلت كل أجهزته في كشفها وتحولت من عميلة تابعة لمخابرات صلاح نصر شأنها شأن كل عميلة إلى مجني عليها ومناضلة وطنية تتعامل مع المخابرات في حدود القضايا الوطنية.

واقتنع صلاح نصر أن أي محاولات لإجبار وإثناء المشير عن قرار الزواج من برلنتي ضرب من ضروب المستحيل فقد وصل المشير في علاقته إلى طريق اللاعودة وأن إتمام الزواج تحت إشرافه وبترتيبات منه هو أقل الأضرار.

وبإعلان زواج المشير وفشل صلاح نصر في الإيقاع بها يتبين أن أجهزة الدولة سخرت وجندت إلى خدمة أهداف الدولة إلى الأهداف الشخصية، وأن أموال الدولة ورجالها والأماكن المخصصة لتنفيذ عمليات المخابرات استخدمت لإشباع نزوات القادة ورجال المشير ومغامراته ولكن يبقي التساؤل المبدوء بهل وإجابته بنعم أو لا.

هل كان عبد الناصر يعلم شيئاً عن تجاوزات المشير ونزواته وانحراف المخابرات وتسخير خدمة الجهاز للأغراض الشخصية واستخدام الأماكن الآمنة لقيادات المخابرات وأصدقائهم من الشخصيات العامة لمقابلة السيدات؟

الأحداث التي وقعت خلال هذه الفترة تؤكد أن عبد الناصر كان يعرف كل شيء عن المشير ورجاله بل أن انحرافات المخابرات وتجاوزاتها كان على علم بتفاصيلها. ولكن هذه الإجابة تقودنا إلى التساؤل عن أسباب عدم مواجهة عبد الناصر للمشير ورجاله. ولماذا تم تأجيل المواجهة.

عبد الله إمام في كتابه يقدم واقعة تؤكد أن عبد الناصر كان يعلم تفاصيل انحراف المخابرات:

هناك واقعة حدثت في نهاية عام ١٩٦٦ عندما حضر ضابط كبير بالمخابرات وطلب لقاء عبد الناصر شخصياً في وقت متأخر من الليل ورفض أن يخبر سامي شرف بطبيعة اللقاء أو حتى أسبابه.

وعاد الرئيس عبد الناصر إلى مكتبه وطلب من سامي شرف أن يدخل الضابط من الباب الخلفي إمعاناً في مزيد من السرية.

وجلس عبد الناصر والضابط وسامي شرف ولاحظ أن الضابط لديه رغبة في أن يكون اللقاء ثنائياً بينه وبين عبد الناصر فقط فطلب من سامي الانتظار في المكتب المجاور.

وبعد ساعتين اتصل عبد الناصر بسامي شرف واصطحب الضابط بعد أن اقتنع بأن سامي موضع ثقة الرئيس. وبدأ سامي يسجل أقوال الضابط حول خروج بعض الضباط عن مقتضيات الوظيفة إلى مسائل شخصية بحتة.

وكان الأمر شديد الحساسية والخصوصية لأن المطلوب هو إجراء تحريات ومراقبة لجهاز جمع المعلومات.

ويقوم عبد الله إمام واقعة أخري تؤكد أن عبد الناصر والاتحاد الاشتراكي كانوا يعرفون علاقة عامر وبرلنتي.

ففي منتصف الستينات وبعد زواج المشير من برلنتي بحوالي سبعة شهور وزع في

القاهرة وتحديداً في حي عابدين ومنطقة وسط البلد منشورًا يحتوي نبأ زواج المشير وبرلنتي وتاريخ هذا الزواج ومكان اللقاءات والإقامة بينهما.

ووصل هذا المنشور إلى الاتحاد الاشتراكي وعبد الناصر عن طريق شخص اسمه على عبد اللطيف كان مسئول الشباب بالاتحاد الاشتراكي بحي عابدين والذي رفعه بدوره إلى لجنة القسم حتى وصل إلى رئاسة الجمهورية.

وردت وزارة الداخلية وأحالت المنشور إلى رئيس المباحث العامة أمن الدولة حالياً وتحمل تأشيرة الوزير شعراوي جمعة باللواء حسن طلعت ـ للتحري بنفسك

الواقعتان تؤكدان أن عبد الناصر قد عرف تفاصيل تجاوزات المشير وصلاح نصر.

ويبقي التساؤل لماذا لم يواجه عبد الناصر المشير ورجاله واتخاذ قرار بإبعاده عن الجيش وعزل ومحاكمة صلاح نصر.

الإجابة على هذا التساؤل تقتضي التعرف على الظروف والأحداث السياسية سواء في الداخل أو الخارج والتي تؤكد أن عبد الناصر غلب عليه حسه السياسي وأجل قرار المواجهة.

في هذه الحقبة الزمنية وقعت أحداث الانفصال وأجهضت أول محاولة وحدوية بين الدول العربية وكان صدى الانفصال استغلالاً إعلاميا ضخماً في الدول الغربية وبعض الأنظمة العربية ولم تمض على الانفصال شهور حتى قامت الثورة اليمنية وقررت مصر مساندة الثورة وتأييد الثوار.

وكان لدخول مصر الحرب اليمنية ردود فعل عالمية واستقبلها الغرب والأنظمة العربية الرجعية بمزيد من الخوف وأعلنوا الحرب على عبد الناصر ومصر واستخدموا كل الأساليب لإجبار القوات المصرية على الخروج لأن وجود مصر في اليمن كان يعني ببساطة السيطرة على منافذ وشريان العالم الملاحي. وفي الداخل كانت جماعة الإخوان المسلمين تجري عملية إحياء جديدة تهدف إلى قلب نظام

الحكم كل هذه الأحداث كانت تجري وتتحرك بمعدل سريع وكان عبد الناصر في حاجه إلى تأمين الجبهة الخارجية ضد كافة المحاولات الأمريكية لإجبار مصر على قبول فكرة وجود إسرائيل.

في ظل هذه الأحداث فإن أي مواجهة مع المشير ورجاله كانت تعني حرباً أهلية وضياع كل الأهداف والمبادئ التي قامت من أجلها الثورة. وضياع الجبهة الداخلية وعودة الاستعمار مرة أخرى.

إلا أن تطور الأحداث وهزيمة ٥ يونيو ١٩٦٧ لم يعد هناك شيء يبكي عليه وكان على عبد الناصر اتخاذ خطوات أسرع نحو التخلص من المشير ورجاله وكانت المظاهرات التي خرجت بعد قرار التنحي ومطالبة بالعودة أكبر وأقوى استفتاء على قوته وشعبيته.

وانطلاقا من هذا كان قراره بإعادة بناء القوات المسلحة وكانت أقوي الخطوات هو إقالة عبد الحكيم وشمس بدران وتعيين الفريق فوزي قائداً للقوات وعبد المنعم رياض رئيساً للأركان وعندما حاول المشير ورجاله الدخول في المواجهة المسلحة كان تكليف فوزي بالقضاء على تمردهم وبعد تحديد إقامة عامر وانتحاره كان لابد من مصارحة الجماهير وكشف حقيقة ما يجري في الخفاء فكان قراره الذي تضمنه برنامج ٣٠ مارس عندما وقف يصارح الجماهير بقوله:

بأننا استطعنا وهذه مسألة أخلاقية ومعنوية أعلق عليها قيمة كبيرة أن نضع أمام الجماهير بواسطة المحاكمات العلنية صورة كاملة لانحرافات وأخطاء مرحلة سابقة.

وكانت مصارحة الجماهير وعلانية المحاكمات هو أسهل وسيلة لإظهار حقيقة المشير وانحرافاته ونزواته بعد أن استطاع أن يصنع من نفسه أسطورة وشكل دويلة داخل دولة سيطر فيها على الجيش والمخابرات ووزع المناصب داخل القطاعات المدنية.

ولم تكن المواجهة وحدها ولا تحديد إقامته كافية بل كانت تعرية ممارساته وممارسات رجاله الوسيلة المثلى لإزالة قناع الشهامة والفروسية التي كان الناس مستغرقين فيها وكانت فضائحه الجنسية هو ورجاله أقوي الوسائل باعتبارها أسهل الوسائل في التسرب إلى داخل وجدان وعقل المواطن وكان المواطن بحكم الظروف السياسية والاجتماعية في حالة تهيؤ واستعداد لمعرفة أسباب النكسة وضياع أرض سيناء.

فكان قرار التحقيق مع ٤١ فرداً من قادة جهاز المخابرات العامة والتحقيق مع رئيس الجهاز ذاته صلاح نصر الصديق الصدوق لعبد الحكيم كافية بإقناع المواطن بانتهاء دولة المخابرات.

وكان إعلان ما أسفرته عنه التحقيقات من استغلال الإمكانيات المتاحة للمخابرات للأغراض الشخصية وخدمة نزوات المشير واستخدام الأماكن الآمنة لمقابلة المشير والسيدات. وأضاف دخول الفنانات التحقيقات نكهة خاصة وكانت علاقة عبد الحكيم عامر ببرلنتي عبد الحميد كافية وحدها لتشويه الصورة الزائفة له.

فهو قائد عسكري يرأس أهم منصب فيها. وهي ممثلة إغراء كل رأس مالها جسدها وأنوثتها التي تساقط أمامها المسئول العسكري الأول.

تحكي برلنتي عن أول لقاء لها مع المشير عامر قائلة:

كانت الليلة من الليالي الباردة، وانطلقت بنا العربة في شوارع شبه خالية من المارة، وعندما وصلنا إلى مكان اللقاء وجدته مكاناً منعزلاً، غارقاً في الظلام قلت لصلاح نصر في نبرة مزاح أخفي بها شكوكي.. إيه الحكاية.. واخدني على فين؟ ودخل بي صلاح نصر إلى حجرة ضعيفة الضوء، يجلس فيها عدد من الرجال الغارقين في معاطفهم وكوفياتهم وطواقيهم حتى أن الناظر إليهم لا يستطيع التعرف على ملامحهم، وقدمهم لي صلاح بأسماء وصفات أظن أنها جميعاً منتحلة..

وكان من بينهم رجل ينادونه يا دكتور وكان هذا الدكتور هو عبد الحكيم عامر وكان مرتدياً طاقية ينزل طرفها حتى حاجبيه ويتلفح بكوفية تخفي نصف وجهه، فلم يعد ظاهراً من وجهه سوى عينيه، ويضع نظارة، وإذا كان عبد الحكيم يريد أن يكسب ميزة في الحوار بتخفيه، فقد اكتسبت أيضاً ميزة في كوني أعرفه وهو لا يعرف أني أعرفه وأبدي صلاح نصر ملاحظة عدم حضوري الاجتماعات وتساءل لماذا لا أواظب على الحضور فقلت:

ـ ماذا أقول في مثل هذه الاجتماعات!! إني أرى أن المتحدثين لا يقولون سوى قصائد مدح وثناء فلماذا تنتظر في جو مليء بالنفاق مثل هذا.

رد على بقوله:

ـ يمكنك أن تقولي ما تشاءين، فأنت لمضة تستطيعين الكلام في كل ما تشاءين.

قلت: لمضة مع مين؟ مع شوية ضباط؟

قال: إذن فأنت لا تعرفين شيئاً عن الضباط، إن كثيرين منهم واسعو الثقافة.

وأخرجت سيجارة ولم أجد معي ثقاباً، فإذا بعبد الحكيم عامر يخرج ولاعته رغم تخفيه ويشعل لي السيجارة، قلت وأنا أنظر إلى وجهه على ضوء الولاعة:

ـ أنت تشبه شخصاً أعرفه!!

قال: شخص تعرفينه؟.. من هو؟؟

ـ أنت تشبه الأستاذ عبد الحكيم عامر!!

عاد إلى مقعده وأغرق في الضحك، سألني أحدهم وكان عباس رضوان:

ـ وما هي ثقافتك أنت؟

قلت:

قرأت لسومرست موم، وبلزاك وداورن و...

رد عبد الحكيم:

يعني كلهم خواجات: هل قرأت للمنفلوطي أو الجاحظ، أو شوقي أو طه حسين.. هل قرأت عن عمر بن الخطاب؟

وتعددت بعد ذلك اللقاءات بين المشير وبرلنتي واستطاعت برلنتي بأنوثتها الطاغية وثقافتها العالية أن تذهب بعقل وقلب المشير وأصبح لا يطيق الحياة بدونها وتطور الأمر إلى حد أن طلب المشير أن يتزوجها وهو الأمر الذي كان يعارضه كل رجال عبد الحكيم بما فيهم رئيس المخابرات العامة صلاح نصر والذي دبر وقدم برلنتي إليه.

وبدأ صلاح نصر محاولات مستميتة لإقناع عبد الحكيم بالتراجع عن الفكرة وأنها مثل أي بنت أو فنانة من العاملين بالجهاز وعلق المشير الاستجابة لطلب صلاح نصر والتراجع عن فكرة الزواج من برلنتي بشرط تقديم دليل على حقيقتها وأنها مثل كل المتعاونات بالجهاز. وكان تقديم الدليل هو صورة من صور انحراف المخابرات وتسخير عمل الجهاز وأمواله لخدمة الأغراض الشخصية.

وكان الدليل عبارة عن تكليف أحد رجال المخابرات وهو الضابط ممدوح كامل والذي اتخذ اسماً حركياً هو موريس لتنفيذ المهمة.

تحكي برلنتي عن تفاصيل محاولات صلاح نصر للإيقاع بها بقولها: طرق بابي يوماً سيدة بدينة، وكان وجهها مألوفاً لدي، وبرفقتها شاب قدمته لي على أنه مسيو بموريس وشرحت لي السيدة مهمة موريس في القاهرة وهي أنه جاء لمشاهدة بعض الفنانات، لينتقي وجوهاً مصرية للعمل في بعض الأفلام الفرنسية، وأن مسيو موريس هو ابن صاحب شركات العربات الشهيرة أعتقد رينو ووجدت مسيو موريس يتحدث الفرنسية بطلاقة أهل فرنسا، ولا يعرف كلمة واحدة من اللغة العربية، رحبت بالزائرين وتذكرت أن السيدة البدينة تعمل كومبارس في السينما وإن كان ليس بيني وبينها معرفة على الإطلاق، وتركتها وذهبت إلى المطبخ حتى فوجئت بالسيدة البدينة تدخل ورائي حاملة بيدها صرة منتفخة، هي عبارة عن

منديل أبيض رجالي، وفتحت السيدة الصرة أمامي، فإذا بداخلها عدد من الأساور الذهبية والخواتم المرصعة بفصوص من الماس، وبعض أقراط دقيقة الصنع.

نظرت بدهشة إلى هذه الثروة الملقاة تحت عيني، وسألتها: بما هذا؟

فأجابت: هدية بسيطة لك.. من مسيو موريس!! وتملكني الغضب وخرجت لمسيو موريس قائلة: لماذا تقدم لي هدية مسيو موريس؟ على أي أساس فعلت هذا؟ خذ هديتك.. ولولا أنك في بيتي ضيفاً لطردتك من هنا.

قال مسيو موريس معتذراً وهو يلملم أطراف صرته على كنزه الثمين.. أنا شديد الأسف.. فأنا لا أعرف تقاليد بلدكم، ولا أعرف شيئاً عن عاداتكم، ولكن هذه المرأة التي جاءت بي إلى هنا هي التي أشارت على بذلك.. وسألت المرأة بالعربية، ثم ترجمت له سؤالي بالفرنسية هل تعرفينني؟ أجابت: لا.. وترجمت له إجابتها ثم سألتها: هل شاهدتك قبل الآن وتكلمت معك؟.. هل زرتني في بيتي هذا؟

قالت: لا، قلت لها تفضلي الآن ولا تحاولي أن تأتي مرة أخرى..

وكرر موريس اعتذاره، وانصرفا معاً، ومن الطريف أن أذكر هنا للقارئ، أن مسيو موريس هذا، ظهر مرة أخري في المخابرات العامة، وكان ذلك بعد موت المشير، فقد واجهوني به هناك، فإذا به يتكلم العربية أحسن مني وإذا به مصري من أب وأم فرنسية وأن مسيو موريس ليس اسمه الحقيقي وسألوني عند المواجهة:

هل تعرفين هذا الرجل؟!

ـ قلت: نعم أعرفه فقد جاءني يوما زائراً، وسردت على مسامعهم كل ما حدث في تلك الليلة، والرجل يصدق على كل كلمة أقولها..

بعد واقعة مسيو موريس ببضعة أيام، رن جرس التليفون في منزلي، وعلى الطرف الآخر جاءني صوت يقول: مدام برلنتي؟

قلت: نعم.. من المتحدث؟

قال: أنا الدكتور.

سألته: دكتور من؟

قال بصوته الهادئ.. ألا تعرفين من يتحدث إليك؟

قلت: لا..

قال: طيب، ووضع السماعة..

لم أذهب لحضور تلك الاجتماعات سوى تلك المرة.. فلم تستهوني، وكنت أضيق بمثل هذه الاجتماعات المرسومة، وكنت أشعر بأمور غريبة تحدث حولي، أمور غامضة لا أعرف دوافعها، فجأة تطلبني السينما العالمية، ويزورني غرباء في منزلي، وأقابل في ليلة شتاء باردة رجالاً غامضين متخفيين في بيت خافت الأضواء، ويتصل بي مجهولون وغير ذلك مما لا أذكره.

وفي ذات يوم اتصل بي أنور عمار صاحب صحاري سيتي، وأنبأني أن وفداً سينمائياً أجنبياً وصل إلى مصر لعمل إنتاج سينمائي مشترك، وأنها فرصة عظيمة بالنسبة لي أن أقابل هذا الوفد وأتعرف على أفراده، وقال إن الوفد سيسهر في صحاري سيتي، ودعاني للعشاء هناك للتعرف عليهم.

قلت له: كيف يمكن أن أذهب لقضاء سهرة في مكان عام مع قوم لا أعرفهم، ولا تربطني بهم صلة؟

تساءل وماذا في ذلك؟

قلت: إنه يعد منافياً للذوق، ولم يقطع الأمل، فأنهي حديثه قائلاً:

ـ الكلام في التليفون لن يكون نافعاً، وسوف أحضر إليك لنتحدث قليلاً..

جاء أنور عمار بالفعل إلى بيتي، وأعاد على مسامعي ما سبق قوله، وزاد:

ـ أنت فيديتا والمفروض منك أن تقابلي كثيراً من الناس، أنت ممثلة ونجمة فلا تضيعي على نفسك فرصة دخولك إلى ميدان السينما العالمية.

لم يغير ما قاله من تصميمي وقلت له:

ـ لا أريد السينما العالمية إذا جاءت بهذه الصورة.

وانصرف أنور عمار دون أن نتفق على شيء، ووسط هذه العروض التي كانت تنهال على من السينما العالمية بصورة غزيرة وفجائية، جاءني عرض قبلته على الفور دون تحفظ ولم يكن من السينما العالمية، وإنما هو فيلم مصري اسمه بنت البادية.

إن الأسلوب الذي جاءتني به هذه العروض، قد حرك في أعماقي غرائز الحذر التي تنبه الكائن الحي، عند اقتراب خطر لا تراه العين، ولا تسمعه الأذن، ولا يدركه العقل الواعي.

ولم تكن العروض الفنية وحدها هي التي تأتيني وإنما أيضاً عروض للزواج، لا يسبقها حب ولا يعقبها حب.

اتصل بي يوماً مرسي سعد الدين واتفقنا على أن يذهب معي إلى حفل يقام بإحدى السفارات لأن عربته بها تلفا. وفي الطريق فاجأني بأن عرض على الزواج.. وطبعاً رفضت، فلن يسبق إن كان بيني وبينه علاقة عاطفية بأي شكل من الأشكال وقلت له بصراحة أنه ليس التيب بتاعي، والغريب أنه بعد ذلك بأيام طلبني في التليفون، وكانت محادثة غريبة وغامضة، فهو يسأل ولا يلقي بالا لإجابتي، وإنما يجيب هو بإجابة من عنده غير التي أجبت بها، حتى لقد خيل إلى شخصاً ما يقف بجواره ليتابع هذا الحديث المفتعل.. بل وسألته فعلاً هل أحد بجانبك.. فأجاب: لا.. لماذا؟

ـ لأنك تبدو كمن يحرص على أن يسمع شخصاً آخر أشياء لم أقلها، وكان مرسي يريد أن يؤكد لهذا الشخص حقيقة ما، أو كذبة ما على أنها الحقيقة.. لا أدري بالضبط، قال لي:

ـ هل فكرت في الأمر؟

ـ أي أمر؟

ـ عل.. متي نلتقي؟.. لابد طبعاً أن تختاري الدبلة بنفسك؟

ـ أي دبلة؟

ـ اتفقنا إذن!!

على هذه الوتيرة كانت مكالمته التليفونية معي، وأنا لا أفهم شيئاً مما يقول أو يبغي من وراء مثل هذه المكالمة..

أشياء كثيرة كنت أقف حيالها عاجزة عن الفهم.. وطرق كثيرة تفتح أمامي ولا أجد القدرة على السير فيها، بل أقف على مشارفها ولسان حالي يقول مع ابن الرومي بألا من يريني غايتي قبل مذهبي، ومن أين والغايات بعد المذاهب..

يطابق هذا البيت من الشعر، نفس الحال لي مع مسيو موريس الذي سبق الحديث عنه، فإنه في اليوم التالي بعد أن أخذ ميعاداً للاعتذار، وكان بمفرده، وجاء وكرر اعتذاره بجهله بأساليب الحياة الاجتماعية في مصر، وأظهرت له أني سامحته، وكان يتصل بي بعد عودته من فرنسا كل فترة قصيرة.

وفي يوم اتصل بي موريس قائلاً: أرجوك سأشتري فيلا بمصر الجديدة فأرجو منك رؤيتها قبل أن أمضي عقدها. فأنا لا أعرف الأسعار هنا وأريد نصيحتك بوكان قد عرض على الزواج في إحدى مقابلاته لي وأعطاني مهلة للتفكير، وفعلاً حضر إلى وأخذته في عربتي يسوق وأنا بجانبه ووراءنا أختي ولما وصلنا الفيلا وجدتها مفروشة وأحس بدهشتي فقال: معروضة هكذا على بما فيها.. تجولت داخل الفيلا وفي حجرة من الحجرات وكانت أختي تتأمل باقي الفيلا.. وجدته يتصرف بطريقة غير لائقة فزجرته.

قائلة: كنت أظنك رجلاً راقياً لكن خاب ظني فيك، وخرجت مسرعة وجاءت أختي على صوتي. وبعد أن ركبنا العربة. سألتني أختي ماذا بك؟ قلت لها ما حدث،

وعلقت قائلة: ده راجل نصاب، لأنه تصرف كما يتصرف السوقة وقالت لي أختي: ما رأيك في استدراجه لشقتنا وإعطائه علقة، قلت: لا، يكفي أن اكتشفت حقيقته.

وبعد ساعتين تقريباً من وصولي المنزل جاءتني مكالمة من الدكتور قال بعد أن حياني، أين كنت؟

قلت وأنا مازلت غاضبة: والله كنت في مشوار سخيف.

فأجاب ضاحكاً: كيف.

فأجبته: ذهبت مع رجل كنت أظنه محترماً فإذا به إنسان خسيس، صحبني أنا وأختي لمشاهدة فيلا يريد شراءها فذهبنا معه ورويت له القصة كلها، وأنهيت حديثي بقولي أنني أشعر بالضيق النفسي.

فتساءل.. لماذا؟

قلت: لأني أحس بأنني خدعت في التغرير بي.. مما يجعلني أشعر بأنني غبية.. رد ضاحكاً: مش قوي..

كان صوته في هذه المكالمة طليقاً مرحاً، على غير عادته. وفي نهاية المحادثة قال لي:

ـ أريد أن أراك حالاً، عندي شيء هام أريد أن أكلمك بصدده.. كان يتحدث ببساطة، وفي منتصف الحديث قال فجأة: اسمعي، تعالى زي ما أنت، تاخدي بعضك وتنزلي على طول هنا.

غادرت المنزل في الحال، فقد جاءت المكالمة في وقتها، وهناك وجدته واقفاً ينتظرني في الحديقة، مرتدياً قميصاً وبنطلوناً، وحالما وقعت عيناه على هتف مرحباً ـ أهلاً عروستي!!